الصراع السعودي - الإيراني وتأثيره على دول الجوار العربي

رايق سليم البريزات

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح جذور الصراع القائم بين دولتي المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكذلك توضيح بعض من النقاط الهامة في الصراع القائم بينهما والتي بدأت فترة الصراع بعد تدهور العلاقات بين السعودية وإيران بعد الثورة الاسلامية في إيران عام ١٩٧٩، وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولازال الصراع مستمرا، مر الصراع بين إيران والسعودية بعدة مراحل أولها المواجهة العلنية في الثمانينيات، واتساع قصير المدى في التسعينيات، ثم صراع على النفوذ في الشرق الأوسط. وهذا ما انعكس على دول المنطقة والتي شهدت منذ مطلع العقد الأخير تحولات وتغيرات استراتيجية مست كيانات عديدة نتيجة لصراع الأدوار الإقليمية بينهم ودولياً بفعل البعد الاستراتيجي للمنطقة والتي جعلت منطقة الشرق الأوسط محل اهتمام دولي.

وتعتبر تلك الفترة الحالية هي من أكثر المراحل توتراً في العلاقات السعودية – الإيرانية، فقد شهدت المنطقة أحداثاً داخلية وإقليمية ودولية جعلت العلاقة فيما بينهم تتسارع في الأفعال وردود أفعال، وفوضى وتصادم بالتقلبات والتجاذبات، أدخلت الدولتين في صراع طويل المدى بينهم. ولذلك سوف نتناول العلاقات السعودية – الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط والصراع فيما بينهم على مناطق النفوذ ودراسة أبعاد هذا التنافس على مستقبل منطقه الشرق الأوسط.

Abstract:

The study aims at clarifying the roots of the conflict between Saudi Arabia and the Islamic Republic of Iran, as well as clarifying some of the important points in the conflict between them, which began the period of conflict after the deterioration of relations between Saudi Arabia and Iran after the Islamic Revolution in Iran in 1979 and the establishment of the Islamic Republic of Iran, The conflict between Iran and Saudi Arabia has gone through several stages, the first of which was the public confrontation of the 1980s, the short-term expansion of the 1990s, and a struggle for influence in the Middle East. This has been reflected in the countries of the region, which since the beginning of the last decade have witnessed many changes and strategic changes in many entities as a result of the conflict of regional roles between them and internationally due to the strategic dimension of the region.The current period is one of the most tense stages in the Saudi-Iranian relations. The region has witnessed internal, regional and international events that have made the relationship between them accelerate in acts and reactions, chaos and clashes with fluctuations and friction. Therefore, we will discuss the Saudi-Iranian relations in the Middle East and the conflict between them on areas of influence and study the dimensions of this competition for the future of the Middle East.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على جذور الصراع والتنافس القائم بين كل من المملكة العربية السعودية من جهة وجمهورية إيران الإسلامية من جهة أخرى في العديد من الدول العربية والتي تعتبر ساحة خصبة لتلك الصرعات، وهنا يمكننا الإشارة إلى أن الصراع بين الدولتين الإقليميتين لم يكن جديداً، بل أمتد عبر عقود، لا شك أن العلاقات السياسة بينهما أخذت منحنى المد والجذر، وبدأت العلاقات الدبلوماسية بينهما بالتدهور منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م. وعلى أية حال فإنه يتضح من سلوكيات كل من الدولتين بأنها صاحبة النفوذ الاقوى في المنطقة بشكل عام، ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص، وظهرهذا جلياً بعد الثورة الإسلامية الإيرانية والحرب العراقية- الإيرانية، حينما قامت المملكة السعودية بدعم العراق ضد ايران. وهنا شهدت العلاقات بين الطرفين نوع من التنافس الذي يشبه في طبيعته مستوى الحرب الباردة.

هذا يوضح مدى خطورة الأحداث التي تعصف بالمنطقة العربية منذ عدة سنوات، والنزاعات القائمة في دول المنطقة، لا شك أنه زاد من وتيرة الصراع والتنافس بين الدولتين. بالإضافة إلى ما يجري في اليمن من أحداث نتيجة الإنقلاب الذي قام به الحوثيين ضد الحكومية الشرعية، وتوجيه الاتهامات إلى تدخل إيراني في الشأن اليمني. ومن أبرز نقاط الخلاف بين الدولتين في المنطقة، أولاً: إنقلاب الحوثيين وعلاقته بالصراع بينهما، ثانيًا: الأزمات المتلاحقة في كل من سوريا والعراق، كمحددات للصراع الجاري بينهما. كما لا يخفى على احد بأن الصراع بين الطرفين "يحمل في طياته القومية" أستخدم الدين فيه ليكون مسوغاً. فمن المعروف أن ايران تمتلك ارث تاريخي وحضاري استمر عبر القرون مع كل التطورات والإحداث. وان إسلامية الجمهورية الإيرانية تخترقها بطريقة من الطرق قوميتها.

فالصراع الحديث بين الدولتين لا يمكن عزله عما يحدث من تغيرات سياسية في المنطقة بعد أحدث ما يسمى بالربيع العربي، لذا تسعى إيران جاهدة

إلى الاستفادة من الثورات الدائرة في المنطقة، إلا أنها أصبح لديها فرصاً أكبر في العراق وسوريا ولبنان واليمن. بالمقابل فإن المخاوف والهواجس التي تعصف بالمملكة السعودية مما يحدث في المنطقة، يجعلها تتخوف من تداعيات بسط النفوذ والسيطرة الإيرانية على تلك الدول. ولتحقيق هدف هذا البحث فاننا سنتناوله من خلال اربع محاور وهي كالأتي:

- **المحور الاول: طبيعة العلاقات الايرانية- السعودية.**
- **المحور الثاني: العامل العسكري لكلا الدولتين.**
- **المحور الثالث: العامل الايديولوجي.**
- **المحور الرابع: مناطق الصراع بين الدولتين.**

المحورالاول: طبيعة العلاقات الايرانية- السعودية:

منذ أن تأسست المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م وتوحيد أقاليمها، كانت بداية العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران. إلا أن العلاقات بين البلدين لم تدوم طويلا حيث كان لعملية احد الحجاج الايرانيين بالتطاول على الاداب الاسلامية اثناء موسم الحج، وهو ما دفع المملكة السعودية الى محاكمته ومعاقبته ألأمر الذي أغضب السلطات الايرانية، وهو الأمر الذي أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين عام ١٩٤٤[i].

وعلى الجانب الاخر، فإن من أبرز الأحداث التي أدت إلى التقارب في العلاقات بين الدولتين؛ في عام ١٩٥٧م قام شاه الجمهورية الإيرانية بزيارة إلى المملكة العربية السعودية في محاولة منه لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وكان أحد أهم الأهداف لتلك الزيارة هو توحيد الجهود بين الجانبين لمواجهة الرئيس المصري آنذاك جمال عبدالناصر وإيقاف تصدير الثورة المصرية إلى دول المنطقة، فاعتبر الشاه محدمد رضا البهلوي الملك فيصل القائد العربي الوحيد القادر على مواجهة جمال عبد الناصر وأبدأ استعداده بالتحالف مع المملكة العربية السعودية ضد جمال غبدالناصر. في عام ١٩٦٢م دخلت القوات المصرية

اليمن لتقديم الدعم للنظام الجديد في اليمن، هذا العمل أستفز كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية ايران ودفعهما إلى مواجهة خطر حملة عبد الناصر[ii].

وعلى أي حال فإنه يتضح بأن الفترة التي أعقبت ظهور الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩م، حدث تغيير جذري في العلاقات بين البلدين، وخصوصاً بعد إعلان الأسم الجديد لإيران وهو "جمهورية إيران الإسلامية" وكان لهذا الاسم معنى ذو مغزى من وجهة نظر القائمين على الثورة الاسلامية وهو ما ينطوي على بعد سياسي وديني في العلاقات بين البلدين، ومع نهاية عام ١٩٧٩م أخذت تظهر في الخطابات السياسية والدينية للقادة الإيرانيين محاولة ترويج مبادئ الثورة من خلال نشر الفكر الشيعي، بدايةً من الحرب العراقية – الإيرانية[iii]، وما تبعها من مؤشرات في المنطقة العربية حتى الآن.

لا شك أن بداية التحول في الصراع العلني بين البلدين هو ظهور الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م ومن ثم قيام الحرب العراقية- الإيرانية، عندما أعلن عن التحالف السعودي العراقي ضد إيران، من خلال ذلك سعت السعودية إلى تقديم كافة أشكال الدعم الى العراق محلياً ودولياً، ليس من بعد قومي، بل لمنع تصدير الثورة الايرانية الى المنطقة[iv]. أما التحول الثاني، هو الأنتقال من مرحلة الصراع فقط إلى مرحلة التنافس والصراع على النفوذ في المنطقة، لتصبح العلاقات بين الطرفين متداخلة ومتشابكة في مجمل التفاعلات الجارية في المنطقة؛ ومع غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م، تغير مجرى العلاقات بين الطرفين ولو بشكل ملحوظ، مع العداء الذي اضحى مشتركًا لنظام صدام حسين. بالرغم من الاختلافات السياسية والأيديولوجية لكل من الطرفين، ومن هنا سعت إيران إلى إعادة علاقاتها مع المملكة السعودية.

اما التحول الثالث، ما يمكن وصفه بالحرب الباردة بين الجانبين، ان الحرب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية على أفغانستان ومن بعدها على العراق وتدميره أحدث تغيير في توازن القوة الإقليمية لتصبح في مصلحة النفوذ الإيراني؛ مما أدى الى التنافس الشرس بين القوى الاقليمية في العراق، ليصل إلى

سوريا واليمن والبحرين كما وشهدت لبنان تنافس شديد بين الجانبين استخدمت فيها الاجنحة التابعة لكل دولة. أتسمت العلاقات بين السعودية وإيران بالمد والجزر في كثير من الاحيان وتحركها المصالح المشتركة. وفي ضوء ما سبق إيضاحه نجد أن أهم التطورات الإيجابية التي حصلت في مسيرة العلاقات بين الدولتين التركيز على إعادة الاتفاقية الموقعة إلى الواجهة عبر التذكير بأهمية تفعيلها إعلامياً كأحد المشتركات بينهما(٧).

من هنا لا بد من الإشارة إلى أن الخطاب الرسمي لكل من السعودية وإيران يستند على عموميات العلاقة بين الطرفين لما فيه مصلحة الأمة الإسلامية دون أن يخفي تصعيد العلاقات والأحداث الميدانية والتحركات الدبلوماسية ذات الصلة بالعديد من أوجه الاختلاف على ارض الواقع. فالمملكة العربية السعودية تعتبر إيران منافساً كبيراً لها على مختلف الصعد، السياسية والاقتصادي والاستراتيجية والايديولوجية، ان السعودية وضعت خطة إستراتيجية جلية المعالم للوقوف في وجه النفوذ الإيراني، وهذا يظهر جليا من خلال التقارب الأمريكي الإيراني فيما يخص ملفها النووي، وهو ما ترى فيه المملكة السعودية نفوذاً وهيمنة لإيران كبيرين إقليمياً ودولياً.

وهنا يمكن الإشارة إلى ان أهم مظاهر الصراع بين الجانبين يتمثل بـ:

- سعي الجمهورية الإيرانية إلى التأثير على توجهات دول منطقة الخليج العربي بما يتماشى ومصالحها، وهو ما ترفضه السعودية وترى فيه تعدي صارخ على نفوذها الاستراتيجي في نطاق دائرة الجوار المباشر.
- توسع النفوذ الإيراني في بعض الدول العربية وخلق حالة من التوتر في العلاقات بين الاشقاء العرب، والتدخل المباشر في الملف الفلسطيني والأزمات المتلاحقة في لبنان وخلق حالة من الفوضى في العراق، كل هذا أدى إلى تراجع الدور السعودي في دائرتها العربية.
- التنافس الشديد بين الجانبين على قيادة العالم الإسلامي، لذا تسعى إيران جاهدة إلى قيادة العالم الإسلامي وإضعاف الدور السعودي في هذه الدائرة.

- الدور الإيراني المباشر أو غير المباشر في إثارة القلاقل الداخلية في السعودية، وذلك من خلال تشجيع وتبني اطروحات ومواقف قوى المعارضة الداخلية والتضخيم الاعلامي لبعض الاحداث الداخلية التي قد تقع بالمملكة.

المحور الثاني: العامل العسكري لكلا الدولتين:

كما نعلم ان الدولة تعتمد على قدراتها العسكرية كأحد المحددات الرئيسية المؤثرة في تعزيز قوتها العسكرية في زمن الحرب والسلم، وهو ما يتجسد تأثيره في سلوكيات صانع القرار تجاه السلوك السياسي الخارجي لدول الأخرى. ومن أجل تحقيق الأهداف تسعى الدول في سياساتها إلى التأثير على موقف الدول الأخرى لكي تمتثل إلى طلبات معينة، لذا يمكن الاشارة إلى الادعاءات الإيرانية العلنية بين الحين والأخر بملكية بعض مناطق دول الخليج العربي، وتدخلها في الشؤون الداخلية لبعض دول المجلس، وهو ما دفع إيران إلى استخدام مفهومي الاستفزاز والتهديد المستمر بإستخدام القوة العسكرية تجاه دول الخليج العربي.

لذا سعت السعودية بشكل خاص ودول الخليج العربي بشكل عام إلى تطوير منظومة التكامل والتعاون الخليجي ولا سيما في المجال الأمني والعسكري نتيجة تزايد المخاوف من المد الثوري وخشية التهديدات الإيرانية المتكررة للمنطقة، وإنطلاقاً من ذلك تسعى السعودية إلى بناء مؤسسة عسكرية متطورة قادرة على الدفاع عن المصلحة الوطنية لها، وهو ما يستوجب إعداد خطة شاملة لتطوير القوة العسكرية الدفاعية والأمنية[vi]. وهنا يمكن الإشارة إلى محاولة إيران لإمتلاك منظومة من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية من أجل الدفاع عن مصالحها وأمنها القومي. إلا أن مساعي إيران الحثيثة لإمتلاك الأسلحة النووية جاء كرد فعل على التواجد العسكري الأمريكي في الخليج العربي والعراق لحماية أمنها القومي ولو بشكل نسبي من أي مخاطر قد تحدث على غرار ما تعرض له العراق[vii].

ومما يذكر في هذا الصدد فإن سقوط العراق وإحتلاله أعطى إيران درساً لتسليح قواتها العسكرية، الأمر الذي دفع بالولايات المتحدة إلى إتباع سياسة

الأقناع للدول العربية المجاورة بأن إيران أضحت تمثل الحالة العراقية قبل الاحتلال لا سيما في محاولاتها لإمتلاك السلاح النووي الذي يمكن أن يليه تهديداً واضحاً لمنطقة الخليجي العربي. ولا يخفى على أحد، مع بداية سعي إيران للعمل في البرنامج النووي في خمسينيات القرن المنصرم في فترة حكم الشاه وبمساعدة أمريكا والدول الأوروبية، ومع أنتهاء حكم الشاه وبداية حكم الاسلاميين في إيران تغيرت سياستها الخارجية بإتجاه مرتكزات فكرية ترتكز على أسس مذهبية دينية، ومع السياسة الجديدة التي أتخذتها إيران ظهر تحديات جديدة أمام الثورة الاسلامية ألاّ وهي توقف الولايات المتحدة والدول الاوروبية لتقديم الدعم لإيران لإستكمال برنامجها النووي، إلا أن إيران ومن خلال مساعيها الدؤوبة أستمرت بتطوير برنامجها النووي لإسباب تتعلق برؤيتها الخاصة بالتهديد الأمني الذي يوجه إليها من بعض الدول المجاورة لحدودها.

في ضوء ما سبق إيضاحه فإن السعودية تتوجس من سياسة إيران ونواياها الجديدة في المنطقة، كما وتخشى المملكة من تحول البرنامج النووي السلمي إلى الأغراض العسكرية ومتى توفرت الإرادة السياسية، ومع إستمرار إيران في تطوير قدراتها العسكرية ودعم برنامجها النووي قد يتسبب في مواجهة بين السعودية وإيران، وخاصة بعد إعلان بعض المسؤولين الايرانيين عن نجاح إيران بتخصيب اليورانيوم، وهذا ما كان يطمح إليه الرئيس السابق محمد خاتمي خلال زياراته لروسيا عندما قام بعقد صفقات أسلحة أثارت حفيظة بعض الدول، وتم إقناع المسؤولين الروس بإنهاء العمل في المفاعلات وهو ما أعتبر الطريق الى انتاج الأسلحة النووية[viii]. وعلى الرغم من وجود مؤشرات تشير إلى حدوث تقارب بين واشنطن وطهران حول العراق وخلافاتهما بخصوص ملفها النووي، إلا أن الطريق مازالت طويلة وأن عجلة تحسين العلاقات لم تدور بكل طاقتها، مما يعطي مجالاً وحرية أوسع للتقارب الخليجي الإيراني إذا أحسنت النوايا. وعلى الجانب الأخر فإن السعودية تسعى جاهدة إلى تطوير قدرتها العسكرية والقتالية من أجل خلق نوع من التوازن العسكري بينها وبين إيران على المدى المنظور.

فالمملكة تمتلك رابع أكبر ميزانية عسكرية في العالم بإجمالي ٥٦.٧ مليار دولار لعام ٢٠١٥م، بينما تحتل الميزانية العسكرية للجمهورية الإيرانية المركز رقم ٣٣ بإجمالي ٦.٣ مليار دورأ، وهذا يعكس اهتمام جيد من السعودية بترسانتها الحربية والجيش، بشكل عام تحتل إيران الترتيب رقم ٢٣ عالميًّا من ناحية قوتها العسكرية، بينما تأتي المملكة العربية السعودية في المركز رقم ٢٨ عالميًّا[ix].

ومن خلال ما تشهده منطقة الخليج العربي من صراع وتنافس سياسي هائل بين كل من إيران والسعودية، أن هذا الصراع يستند إلى تباين في الأيديولوجية الدينية لكل من الجانبين. وهذا يوضح مدى رغبة إيران في بسط نفوذها على المنطقة العربية، ومن هنا لا بد من الإشارة إلى توجس السعودية من إمكانية حدوث حرب عسكرية بينهما بسبب التغطرس الإيراني وإخضاع المنطقة برمتها إلى نفوذها السياسي والعسكري. لذا سعى الجانبين إلى زيادة قدراتها العسكرية والحربية سواء على المستوى الدفاعي أو المستوى الهجومي. وخلاصة الأمر لهذا الجزء، فإن الأزمات المتلاحقة بين السعودية وإيران، أسهمت ولو بشكل جزئي في رصد مقارنات بين قوة كل من البلدين من الناحية العسكرية، لا شك أن الجانبان يمتلكان قوة عسكرية ضخمة، فالسعودية تملك جيشا مجهزاً بأحدث الأسلحة الفتاكة، وعلى الجانب الأخر فإن إيران أسلحتها أقل فاعلية من الأسلحة التي تمتلكها السعودية، أضف إلى ما سبق فإن ايران لا تستطيع شراء الاسلحة الحديثة بسبب العقوبات المفروضة عليها، ومع ضعف الآلة العسكرية الا اننا نجد ان قواتها العسكرية لديها خبرة كبيرة في الحروب.

المحور الثالث: العامل الايديولوجي:

أضف إلى ما سبق فإن قيام الثورة الإيرانية ونجاحها شكل بداية جديدة في تطور العلاقات بين البلدين، لذا فإن نشر الإسلام السياسي أدى إلى ظهور كثير من التوترات بين الجانبين، وكما أسلفنا فإن الخلافات بين إيران والسعودية تمتد إلى نهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي، ومن أهم أهداف السياسة الخارجية

الإيرانية بعد الثورة الاسلامية، سعيها إلى إقامة الحكومة الاسلامية العالمية التي تهدف إلى القضاء على كل أنواع التسلط، ودعم المستضعفين والحركات التحررية ونشر الإسلام والدعوة إلى قيادة العالم الإسلامي[x]، وعلى الجانب الأخر تبلورت جذور السياسة الخارجية السعودية على القيادة السياسية والدينية للعالم الإسلامي، ومواجهة تمدد نفوذ الثورة الإيرانية والابقاء على الوضع القائم في العالم الإسلامي، ومن خلال ذلك سعت إيران إلى شن هجمة معاكسة ضد السعودية ودعوتها إلى نزع إشراف النظام السعودى عن الأماكن المقدسة. لذا جاء ظهور النظام الإسلامي ووصوله للسلطة في إيران ليشكل عاملاً مهماً في دعم ومساندة الأجنحة الموالية إلى إيران في المنطقة العربية من أجل تطبيق إستراتيجيتها الإيديولوجية في المنطقة.

مما لا شك فيه إن إيران تسعى ومن خلال منظورها القومي والمذهبي، لقيام حكومة عالمية إسلامية، تطمح من خلالها إلى قيادة العالم الإسلامي. أما على الصعيد الآخر من التصور الإيراني فهو يرتكز على منظور قومي سياسي، وينطلق من تخوفها الأمني نتيجة لوجود قوات أمريكية متمركزة في العراق وأفغانستان والخليج، أضف إلى ذلك أمتلاك بعض دول المنطقة المحيطة بها لإسلحة نووية مثل باكستان والتي تعد أحد حلفاء المملكة العربية السعودية[xi]. والطرح الذي نطرحه هنا يفسر العوامل المؤثرة على المدركات الإيرانية، ومتابعة مدى تأثيرها على السلوك السياسي الخارجي لإيران تجاه السعودية، ويتيح مذهبها معرفة أولويات القيادة الإيرانية في ترتيب سياستها ضمن رؤيتها المبنية على العقيدة الدينية وفقاً لمذهبها العقائدي ، وبناء عليه وضعت تصورها حول طبيعة تفاعلها مع السعودية والدول العربية المجاورة لها.

وعلى أية حال فانه يتضح بإن السياسة الإيرانية ترتكز على أولويات من أهمها ضمان تحقيق الأمن والاستقرار الداخلي للمجتمع الإيراني، كما وتسعى الى تحقيق المصالح القومية. ولتحقيق ذلك طغى هدف تصدير الثورة على جميع الخطابات السياسية في جمهورية إيران. لقد مثلت الثورة الايرانية تهديداً شرعياً

للنظام السعودي، فالنظام الجديد ليس نظاماً جمهورياً يقتصر تهديده للنظام السياسي الحاكم في السعودية كنظام ملكي محافظ فحسب بل أنه نظام يرفع شعار الاسلام الثوري ويسعى إلى تصديره ويتزعم الاقليات في السعودية ودول الخليج العربي الاخرى[xii].

وهنا يمكن الإشارة إلى أن السعودية تستند شرعيتها على الأساس نفسه الذي تستند عليه ايران وهو الاساس الدينى ، فالمملكة قبل النفط وبعده حارسة المؤسسات الإسلامية، وتستمد مكانتها الدولية من دورها التأسيسى لمنظمة المؤتمر الإسلامي. فلا المحتوى "الراديكالى" للايديولوجيا الايرانية كان موضع ارتياح السعودية ولا هجوم الثورة على النظام الملكى كان يرضيها ولا ثنائية مستكبرين/ مستضعفين كانت تتفق مع التزامات السعودية الدولية وشبكة علاقاتها الخارجية وبالتالى دخلت السعودية وإيران منذ اللحظة الأولى للثورة فى صراع على مصدر الشرعية[xiii].

وفي ضوء ما سبق إيضاحه، يتبين بإن الخلافات الطائفية أصبحت مسألة معقدة وشائكة كثر فيها اللغط حتى يومنا الحاضر. المفترض أن يتم عملية إتخاذ موقف جريء من طرفي الصراع والإستفادة من إمكانات تلك القوتين الإقليميتين، في مواجهة مخططات خارجية. وخلاصة الأمر فإنه على الرغم من القواسم المشتركة بين السعودية وإيران، إلا أن سياسة العداء والشك بين الجانبين أدت إلى تنامي سياسة التحريض الطائفي والمذهبي، حيث ظهرت العديد من التيارات الفكرية والعقائدية التي أدت إلى تنامي الانقسام بين الجانبين، وهنا يمكن الإشارة إلى أن القضايا المذهبية تؤثر تأثيراً سلبياً على التوجهات السياسية لكلا الجانبين. ومن هنا يمكن الإشارة إلى السعودية والمعروف عنها التزامها القوي بالتنوع الديني داخل المجتمع الإسلامي. بالمقابل، نجد أن صناع القرار في الجمهورية الايرانية يرفضون نوعاً ماء الفروقات بين المذهبين في شكله العلني، ومع هذا فإن إيران تسعى جاهدا إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي للجماعات الموالية لها في الدول العربية لا سيما في أي نزاعات تحدث في المنطقة. إذ غالباً ما تعتبر إيران

نفسها بأنها القائد المدافع عن حقوق الشيعة بشكل خاص والمسلمين المستضعفين بشكل عام، رغم إنها لا تعتبر أن هذا هو دورها الإقليمي الوحيد الهام. ولكن الدور الأهم حسب تصور القادة الإيرانيون بأن بلدهم دولة إقليمية أساسية تقف كقائد هام للعالم الإسلامي.

المحور الرابع: مناطق الصراع بين البلدين :

ان التنافس السياسي بل والعسكري غير المباشرة بين إيران والسعودية الذي يجري في المنطقة منذ عقود، وخصوصاً في أعقاب "الربيع العربي" عام ٢٠١١[xiv]، إلا أن الأحداث الأخيرة التي حصلت بين الجانبين، أي إعدام الحكومة السعودية الشيخ نمر باقر النمر وعلى الجانب الأخر، فإن إقتحام السفارة السعودية بطهران، صعدت من وتيرت الخلافات بين الدولتين، مما أدى إلي قطع العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين. وفي هذا الجانب يبدو أن الطريق الأنسب الذي يجب على كل من السعودية وإيران أخذها في عين الاعتبار تكمن في تقليص طموحاتهما، حيث يوضح المسار التاريخي للمنطقة الشرق الأوسط في الأعوام المنصرمة أن لا ايران ولا السعودية تستطيعان فرض نفسيهما كقوة إقليمية كاملة النفوذ على المنطقة. يتطلب الأمر وضع حد للسياسة تصعيد التوترات بين الطرفين، التي قد تلحق أضراراً مدمرة بالمنطقة برمتها، أضف إلى ذلك عدم تحول الصراع والتنافس الجاري بين الطرفين إلى حرب عسكرية مباشرة، من هنا لا بد من إيجاد تسوية جديدة يتقاسمها الجانبين في إدارة العمليات السياسية في كل من سوريا والعراق واليمن والبحرين ولبنان.

أولاً: العراق:

تشكل جمهورية العراق في الوقت الحالي مركز القلق لكل من الجانبين، ولكن قبل الإحتلال كان نظام صدام حسين أحد العوامل المقلقة التي يتقاسمها الجانبين. ومع تغيير النظام السابق للعراق إلا أن الدولتين كانت تخشيان من ظهور نظام جديد في العراق لا يختلف كثيراً عن سابقه. لذلك تبنت إيران سياسة جديدة

مع الحكومات العراقية المتعاقبة الموالية لنظام الايراني ما بعد صدام حسين، في حين حافظت السعودية على علاقات متوترة تماماً مع عدد من القادة العراقيين[xv].
ان العراق الجديد بداء عقد إتفاقيات مع شركات النفط الدولية لإعادة بناء بنيته النفطية بطريقة تسمح له بالظهور مجدداً كمصدِّر رئيس للنفط. ان هذا التطور في السياسة العراقية الموالية لإيران يمكن أن يضعف النفوذ الإقليمي والدولي للسعودية في سوق النفط العالمي اذا بقيت بعيدة عما يحصل في العراق، أما بالنسبة لطرف الأخر فإن لدى إيران والعراق مخاوف متشابهة بخصوص تأرجح أسعار النفط العالمية. لذا فإن السعودية تخشى من تحالف إيراني عراقي في ظل حكومات موالية لايران. وإن أي تحالف بين الجارتين يمكن أن يكون مدمراً بشكل محتمل بالنسبة لتقدم المصالح السعودية على إمتداد المنطقة[xvi].

ولا شك أن إيران ترى بأن السعودية تقف وراء التقدم الذي أحرزه تنظيم داعش في العراق والشام في العراق، متهمة السعودية بتمويل الجهاديين في العراق والشام، وهو ما يؤكد على عدم تحسن في العلاقات بينهما قريبًا من وجهة النظر الإيرانية. وتتعامل إيران مع الملف العراقي على أنه مغايرً لاتعاملها مع ملف سوريا ولبنان، فهي في العراق تشترك في صنع القرار والتركيبة العراقية.

وعلى الجانب الاخر فإن موقف السعودية في العراق يصعب تحديده بسبب الطابع المتحفظ القائم على التكتم الذي تتسم به تلك السياسة، حيث ان السعودية لا تكُّن الكثير من الود للحكومة العراقية التي تهيمن عليها الأحزاب الموالية لإيران، بينما إيران أصبحت تهيمن على صنع القرار في العراق وتتمتع بنفوذ واسع في مختلف مؤسسات الدولة العراقية بما فيها المؤسسة العسكرية. وهنا يمكن الإشارة إلى أن سحب الولايات المتحدة لما تبقى من قواتها العسكرية من العراق، سيكون من الصعب على السعودية البقاء بعيدة من الملف العراقي إذا ما أستمرت إيران بتقديم الدعم للحكومات العراقية المتعاقبة. لذلك، فإن السعودية تسعى لاحتواء النفوذ الإيراني في العراق، بحيث تنظر السعودية إلى العراق على أنه البوابة الشرقية للخليج العربي، وخط الدفاع الأول بوجه المد الإيراني في المنطقة، في

حين تراه إيران على انه العمق الإستراتيجي والبعد الأمني والجيوسياسي لها لتحقيق أهدافها وطموحاتها المستقبلية.

ان سياسة الهيمنة التي اتبعتها إيران في العراق خلقت حالة من عدم الرضى لدى صانع القرار السعودي، وفي هذا السياق فقد أتخذت مسارين لمواجهة تنامي الدور للجمهورية الإيرانية[xvii]:الأول داخل المنطقة، وجهت السعودية تحذيراً غير مباشر إلى إيران للتخلي عما وصفته بجهود إيرانية لنشر المذهب الشيعي في العالم العربي الذي تسوده الغالبية السنية. أما فيما يخص الملف الثاني فهو خارج المنطقة، ويتمثل في سعي السعودية إلى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع روسيا الاتحادية وجمهورية الهند وجمهورية الصين وهم ما يعتبرون أقرب الحلفاء إلى إيران، وظهر ذلك جليا من خلال تبادل الزيارات بين السعودية وحلفاء إيران.

في ضوء ما سبق إيضاحه لا بد لنا من أن نتفهم الاسباب الحقيقية وراء رغبة إيران في المضئ قدماً بالصراع في العراق، هذا يوضح مدى رغبة إيران في بسط نفوذها وسيطرتها على أكبر قدر ممكن من الدول العربية والتي ترتبط معها بعلاقات طيبة تارة، كما وإن الأحداث الجارية في العراق بما يسمى الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" سهلت الطريق أمام جمهورية إيران للانضمام إلى التحالف الدولي من أجل ضمان بقائها في العراق تارة أخرى. أما على الجانب الأخر فإن الحال بالنسبة للسعودية التي تعتبر بأن العراق هو البوابة الشرقية لها الذي من خلاله مواجهة تعاظم النفوذ الإيراني، فإن العراق يشكل البوابة الغربية لإيران، ولن تستطيع بسط نفوذها عليه إلا بالهيمنة على مراكز صنع القرار في العراق، كما ان إيران لعبت أدواراً مختلفة بزعزعة الاستقرار في العراق، لذا سعت إلى زعزعة الثقة بين السعودية ومكونات الشعب العراقي.

ثانياً: مملكة البحرين:

تشكل مملكة البحرين مركزًا هامًا للصراع السياسي السعودي – الإيراني، إنّ قرب مملكة البحرين من السعودية غالباً ما يجعل الرياض تولي اهتماماً خاصاً

بها، فالسعوديون يشككون بالنوايا الإيرانية تجاه مملكة البحرين[xviii]. لذا تطمح إيران وبإستمرار إلى إعادة توحيد الجزيرة مع الوطن الأم حسب المعتقد الإيراني، شأنها شأن الجزر الإماراتية الثلاث التي تدعي إيران الملكية عليها، من هنا نجد أن مملكة البحرين تشكل أحدى القضايا التي تتنافس عليها كل من السعودية وإيران[xix]. وفرت مملكة البحرين ساحة للتنافس بين كل من السعودية وإيران بإعتبارها عمق أستراتيجي رئيسي لكلا الجانبين، وعادت إيران على لسان مسؤوليها للقول بالحق التاريخي لها في البحرين، ومحاولات إيران في إستمرار زعزعة الإستقرار من خلال دعمها المستمر للإعتداءات التي نفذها بعض الإشخاص في مملكة البحرين والتي تعود إلى الرغبة الإيرانية إلى خلخلة استقرار البحرين.

وبلغ التنافس والصراع بين الجانبين ذروته على خلفية تدخل قيادة السعودية في مملكة البحرين في آذار ٢٠١١م بقيادة "درع الجزيرة"، ومساعدة الحكومة البحرينية لفرض الاستقرار في المملكة. كما أدت التهم المضادة حول البحرين إلى تصعيد حقيقي في الخطاب العدائي ما بين إيران والسعودية. ففي ٢٠١١ م، أصدر وزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي بياناً عبرو فيه عن إستيائهم من التدخل الإيراني في الشؤون الداخلية للدول. كذلك، فقد دعا وزير الخارجية الكويتي محمد صباح الصباح إيران إلى "تغيير في سلوكها"[xx].

لذلك، واظب المسؤولين السعوديين والبحرينيين على القول إن قوات مجلس التعاون الخليجي (درع الجزيرة) تدخلت لمساعدة البحرين من التهديدات الإيرانية المستمرة، من أجل مواجهة تورطها في السياسات المحلية البحرينية. لذا ردت طهران بغضب على التدخل السعودي في البحرين وعلى جهود مجلس التعاون الخليجي لإلقاء اللوم عليها بشأن الإضطرابات البحرينية، مسمية التدخل احتلالاً[xxi].

على ضوء ذلك لقد بعث وزير الخارجية البحريني عدة خطابات رسمية إلى كل من: الامين العام لمنظمة الامم المتحدة، والممثلة العليا للأمن والسياسة

الخارجية في الاتحاد الأوروبي، والامين العام لجامعة الدول العربية، والامين العام لمنظمة التعاون الاسلامي، والتي من خلالها توضح ما تتعرض له مملكة البحرين من تهديدات إيرانية مستمرة، وهو ما يعتبر تهديداً مباشراً وتدخلاً غير مقبول في الشؤون الداخلية لدولة عضو في الامم المتحدة. وأكد وزير الخارجية في خطاباته التي بعث بها إلى المنظمات الدولية والإقليمية أهمية احاطتها علما بما تتعرض له مملكة البحرين منذ فترة طويلة من هذه التدخلات والتهديدات الخطيرة والتحريض السياسي والديني والإعلامي المستمر الذي يمس أمنها وسيادتها الوطنية ويهدد السلم والأمن الدوليين ويزيد من حدة التوتر في منطقة الخليج العربي.

في خضم الأحداث الجارية في المنطقة العربية، تتكرر تهديدات إيران إلى مملكة البحرين بين الحين والأخر بشكل خاص، وإلى دول الخليج العربي بشكل عام، وهو ما ظهر جلياً في تصريحات المرشد الأعلى الإيراني، مرورا بخبر إحباط عملية نقل شحنات أسلحة مهرّبة من إيران إلى البحرين، والتفجيرات التي استهدفت رجال الأمن. وهذا ما أكدته وزارة الداخلية البحرينية أن المتفجرات المستخدمة في العملية تشبه المتفجرات التي تمّ إحباط إدخالها إلى المملكة عن طريق بحرينيين على صلة بإيران. وفي هذا السياق، تذكر الكاتبة ووزيرة الدولة السابقة لشؤون الإعلام في البحرين، سميرة رجب، أن «إيران تعتقد أنها من خلال الهيمنة على البحرين سيكون لها مدخل إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية»[xxii].

وعلى الجانب الأخر فإن توجه السعوديون مع معرفتهم المسبقة بمخاطر الدور الإيراني في المنطقة وتهديداته المستمرة، سارعوا الى إرسال قوة عسكرية سعودية إلى المنامة لتقديم الدعم للمملكة البحرين، وقطع الطريق أمام أي سلوك إيراني يهدد أمن وإستقرار البحرين. لا شك أن الإيرانيون لم يتوقعوا قراراً سعودياً كهذا يسمح بالتدخل العسكري المباشر في الوضع البحريني. وبالتالي، واجه الإيرانيون هجوماً معاكساً هدد بوقف مشروعهم الذي كانوا ينتظرونه منذ سنوات قبل أن يحقق أهدافه المنشودة، وهو ما قد يجبرهم على اتخاذ خطوات أقل

فعالية لكنها أكثر خطورة منها على سبيل المثال دفع المعارضة البحرينية لتحمل تبعات الصراع المباشر وتصعيد التوتر. ومن هنا تعمل المملكة العربية السعودية على مساعدة مملكة البحرين في كافة المجالات وهي ترى في ذلك حماية لأمنها الإستراتيجي. لا يزال من غير الواضح حجم التأثير الإيراني على تحريك الشارع في مناطق أخرى مثل السعودية، إن ارسال قوة سعودية إلى مملكة البحرين جعل من خيار التدخل الإيراني أمراً صعباً. ومما يذكر في هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى انه في أعقاب التدخل العسكري بقيادة السعودية، أطلقت الحكومة البحرينية العنان لحملة أكثر شمولية لفرض النظام. وانتقلت الحكومة الى تثبيت سيطرتها على كل المناطق في البلاد، مؤكدة أن هذا الأمر ضروري لضمان الامن والاستقرار في المملكة.

ثالثاً: لبنان:

إن أهمية لبنان بالنسبة لإيران تتجاوز روابطها الروحية والسياسية مع حزب الله اللبناني. فبدون حرية الوصول إلى لبنان، ستكون إيران معزولة إلى حد كبير عن المشرق ككل لذلك فان إيران تحتاج إلى لبنان للحفاظ على نفوذها ضمن هذه الساحة، سواء كمعطل أو ميسر. إن الوجود الإيراني في لبنان سيؤثر ويتأثر أيضا بالتطورات ضمن الحركة الأصولية الإسلامية (حزب الله) الأوسع في المنطقة ومن هذا المنظور فإنه من المرجح أن تنظر إيران إلى علاقتها مع سوريا كوسيلة يمكن بواسطتها الاستمرار في مراقبة والتأثير والحفاظ على قدر من السيطرة على حزب الله في لبنان وامتداداته العربية بأقل كلفة ممكنة. وهنا يمكن القول أن لبنان تمثل منطقة رخوة يمكن عندها أن تتقاطع الإستراتيجيات الإقليمية والدولية بل تتصارع حتى يستطيع كل فريق الحصول ليس على ما يريده فقط، ولكن وفق معادلات تتوقف على من يحسن إستغلال كل مفاصل القوة لديه ويترجمها لمكاسب سياسية[xxiii]. وتلعب إيران دور رئيسي في لبنان من خلال حزب الله، والذي يعتبر أحد أهم القوى السياسية والطائفية في لبنان، ومن هنا نجد أن حزب الله اللبناني أصبح أحد الأدوات الرئيسية التي تستخدمها إيران

لتعطيل أي أتفاق سياسي أو أمني داخل لبنان. لكن السعودية تعمل في الإتجاه المعاكس لإيران، فهي تدعم الجيش اللبناني، وتعزز وجوده لإضعاف مخطط حزب الله بالهيمنة على لبنان، وتحويله إلى إمارة إيرانية[xxiv].

إن الاحداث والإختلافات الإقليمية، تعد من أهم الأسباب التي أدت إلى تنامي مستوى الصراع والتنافس بين الجانبين، يعتبر ملف لبنان السياسي والأمني حاضراً وبإستمرار في أدبيات السياسة السعودية -الإيرانية منذ عام ١٩٨٠م. لذا فإن إيران تسعى إلى بسط نفوذها المتنامي في المنطقة من خلال حزب الله في لبنان والذي يعد أحد مكونات التركيبة السكانية اللبنانية، ويشكل حركة واسعت النطاق على الصعيد العربي والإقليمي بما يمتلكه من قوة مجتمعية وعسكرية وكذلك قوة سياسية فاعلة على المستويين التنفيذي والتشريعي، مما أعطى دور كبير لإيران في التدخل في الشؤون الداخلية للبنان.

في ضوء ما سبق إيضاحه يمكن القول بأن التطورات التي حصلت بين كل من السعودية وإيران في لبنان تتمثل بمجموعة من الممارسات السياسية التي أتخذها الطرفين تجاه بعضهما البعض، أولاً: يتمثل بالقرار الذي صدر عن مجلس التعاون الخليجي بإعتبار حزب الله "منظمة ارهابية"، وهو جزء من الصراع الإقليمي بين المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران الاسلامية. كما وقرر المجلس إعتبار ميليشيات حزب الله بكافة قادتها وفصائلها والتنظيمات التابعة لها والمنبثقة عنها منظمة إرهابية، وأعلن عزمه عن إتخاذ محموعة من الإجراءات بحق حزب الله اللبناني. ثانياً: يأتي القرار بسبب مواقف لبنانية مناهضة لها على المنابر الدولية .ثالثاُ: إمتلاك حزب الله ترسانة عسكرية ضخمة إضافة إلى وقوفه بجانب النظام السوري، ودعمه للمتمردين الحوثيين في اليمن، رابعاً: التغلغل الإيراني في الشأن الداخلي البناني عبر حليفها في لبنان ألا وهو حزب الله البناني. ومما يذكر في هذا الصدد فإن الحكومة اللبنانية تنقسم إلى مجموعتين سياسيتين أولاهما: مدعومة من المملكة العربية السعودية (قوى ١٤ ذار)، وثانيهما: مدعومة من جمهورية ايران الاسلامية (حزب الله وحلفاؤه)، ما يجعل الحكومة عاجزة

عملياً عن اتخاذ أي قرار بسبب التنافس الذي يتخذه الاطراف المتصارعة في المنطقة.

رابعاً: سوريا:

ان الأزمة السورية الدائرة لا شك إنها من أخطر الازمات في المنطقة التي تعترض طريق أي جهد لتحسين العلاقات الإيرانية - السعودية، وخير دليل على ذلك، ما جاء على لسان الرئيس الإيراني حسن روحاني على أن تحسين العلاقات لا يبدو موضوعيًّا، يبدو أن أي علاقة حالية أو مستقبلية بين الدولتين مرتبطة بالمسألة السورية، وبالتالي، فإن السعودية تعد من أهم الداعمين لمقاتلي المعارضة السورية[xxv]. فمن وجهة النظر السعودية فأن الازمة الجارية في سوريا هي إمتداد للصراع والتنافس السعودي- الإيراني الذي بدأ منذ قيام الثورة في إيران مروراً بالحرب العراقية الإيرانية ومن ثم سقوط نظام الرئيس العراقي الراحل صدّام حسين في عام ٢٠٠٣م وحتى هذه الحظة، ولعل سحب سوريا من سيطرة النفوذ الإيراني يبدو بالنسبة إلى السعودية ضروريًّا لمواجهة إيران في بناء نفوذ كبير لها[xxvi]. أما بالنسبة لإيران، فإن لها وجهة نظر مغايرة تماماً عما يحدث في سوريا من أحداث فإن معظم ما يحدث من أحتجاجات والتي تحولت فيما بعد إلى نزاع مسلح بين أطراف الأزمة ما هو إلا مؤامرة على سوريا كدولة "مقاومة". أما بالنسبة إلى سوريا الحليف العربي الأقرب لإيران، فقد حافظت إيران على علاقات جيدة معها على مدى أكثر من ثلاثة عقود، فقدمت سوريا الدعم الكلامي والدبلوماسي لإيران خلال الحرب العراقية - الإيرانية. أضف إلى ما سبق أن أحد العوامل الهامة في تعزيز ودعم العلاقة المستمرة بين الدولتين إستعداد إيران المعلن لتقديم الدعم لسوريا في أية مواجهة مستقبلية مع "إسرائيل"، لا شك أنّ سوريا قامت بتأمين خط إمداد لحركات المقاومة المدعومة من إيران ضد "إسرائيل" في كل من لبنان وفلسطين.

ولا بد من الإشارة إلى الأحداث المسلحة في سوريا عام ٢٠١١، وهنا أخذت إيران تراقب الوضع بحذر كبير لا يخلو من الخوف والتوجس، كما أعرب

القادة الإيرانيون والسوريون مراراً بأنّ العلاقة بين بلديهما تاريخية وإستراتجية لا يمكن زعزعتها مهما كانت الظروف. أما العلاقة السورية مع السعودية فمختلفة، حيث حافظت السعودية، على تقليد طويل من عدم الثقة تجاه سوريا نتيجة لتباين التوجهات السياسية بين المملكة السعودية وسوريا. وعلى الجانب الأخر فإنّ السعودية ليس لديها الكثير من الأمور المشتركة مع الحكومة السورية، والتي تتخطى مسألة العروبة[xxvii]. وفي الآونة الأخيرة، كانت السعودية وإيران بحاجة لدرس الكيفية التي ستؤثر بها الاضطرابات في سوريا على مصالحهما، فان ايران هي المتأثر الأول بسقوط النظام السوري الحالي، وهذا واضح، وهي في الغالب تقف إلى جانب حليفها السوري، ولن تسمح بأي حال بسقوط نظام الرئيس الأسد[xxviii]. لا شك أن مجمل الخلافات بين المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران أدت إلى مواقف متشددة حول ملف سوريا، فالسعودية تدعم المعارضة بينما إيران تحارب إلى جانب نظام الأسد، ويتزايد الصراع بين الجانبين حول ما يحدث في سوريا حيث يمكن أن تزيد المملكة السعودية جهودها لتسليح المعارضة. وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة ألى تنامي قوة حلفاء إيران في المنطقة حتى أصبحوا يهيمنون على الساحة السياسية في لبنان والعراق واليمن وسوريا وإحتجاجات مستمرة في مملكة البحرين وهو ما يشكل هاجس للمملكة السعودية بسبب الطوق الذي يلفها من جميع الجوانب.

ويمكن الإشارة إلى ارتفاع حدة الجدل بين السعودية وإيران حول طبيعة الصراع الدائر في سوريا، فالأولى ترى أن سوريا باتت أرضًا محتلة، بعدما دخلتها قوات أجنبية ممثلة في "ميليشيات" حزب الله وغيرها، مدعومة بقوات الحرس الثوري الإيراني ساهمت في قتل السوريين وبدعم غير محدود بالسلاح الروسي. لكن إيران، تؤكد بين الفينة والأخرى أنها تقف بقوة إلى جانب نظام الرئيس السوري بشار الأسد ولن تسمح بأي تغيير يفرض من الخارج، أو حتى بفرض وصفة أجنبية على الشعب السوري. وما يفسر جدلية الصراع بين الطرفين، أن النظامين معاً يستمدان شرعيتهما من الدين، لكنهما يمثلان مذهبين

إسلاميين متنافسين، المذهب السني الذي هو دين الدولة الرسمي في السعودية، ، أما في إيران فيستند النظام الحاكم على المذهب الشيعي.

خامساً: اليمن:

لاشك أن اليمن يمثل عمق إستراتيجي بالنسبة للسعودية وإلى إيران معاً، فإيران تعتبر اليمن مجالاً حيوياً، وسلوكها قائم على رؤى جيوإستراتيجية، من الواضح أن إيران تقدر أهمية اليمن بالنسبة لها، فهي تريد موطئ قدم على حدود السعودية وساحل البحر الأحمر[xxix]. تريد إيران أن تكون حارساً للممرات المائية الإستراتيجية، فإيران تسيطر على مضيق هرمز وتريد السيطرة على باب المندب[xxx]. وفي المقابل، فإن السعودية ترى في اليمن العمق الإستراتيجي والحزام الأمني لها أيضاً، تتأثر بها سلباً وإيجاباً في كل الأحوال، تكتسب العلاقات اليمنية السعودية أهمية خاصة بالنظر إلى أبعادها الإستراتيجية والأمنية والإقتصادية. ومما يذكر في هذا الصدد تتهم دول مجلس التعاون الخليجي والحكومة الشرعية في اليمن إيران بالتدخل المباشر في اليمن ومساندتها جماعة الحوثيين. لا سيما بعد سيطرتهم على اليمن، فاليمن أصبحت أحد أهم ساحات الصراع بين السعودية وإيران، وقد تنامت المخاوف لدى السعودية من الأحداث الجارية في اليمن وبالأخص في أعقاب سقوط العاصمة اليمنية "صنعاء" بأيدي الحوثيين، على أعتبار أن جماعة الحوثيين هم ذراع إيران في اليمن مثلها مثل حزب الله اللبناني.

وفي هذا الجانب، فإن التمدد الإيراني في اليمن لم يكن وليد الحظة وإنما وليد تراكم لممارسات سابقة لإختراق اليمن، كغيرها من الدول العربية الاخرى مثلما وجدت في لبنان والعراق وسوريا ، بدافع مبدأ نشر وتصدير الثورة الإيرانية التي لم تكن سوى غطاء للإستراتيجية الإيرانية القائمة على الهيمنة وبسط النفوذ في محيطها العربي، وهو ما جاء على لسان الأمين العام للجامعة العربية عن آثار الدعم الإيراني للجماعات التابعة لها في المنطقة وصفها بالخطيرة[xxxi]. لم يقتصر دعم إيران لحلفائها في المنطقة على الجانب الإعلامي والإقتصادي، بل تعدى

الأمر إلى تزويدهم بالسلاح والتدريب، ويأتي في هذا الإطار حادثة ايقاف السفينة الإيرانية "جيهان ١" في مياه خليج عدن عام ٢٠١٣ وهي محملة بكميات كبيرة من الاسلحة الثقيلة والمتطورة. أما على الجانب الأخر، تشير المعلومات إلى أنه بعد انطلاق "عاصفة الحزم" بقيادة المملكة العربية السعودية مباشرة عقد المجلس الاعلى للأمن القومي اجتماعين لمناقشة ملف اليمن، وهو ما يوضح مدى ارتباط إيران بالعمليات العسكرية الجارية في اليمن، في حين أكدت السعودية أن من يتواجد في ساحة القتال جنباً إلى جنب مع جماعة الحوثيين سواء من مقاتلين الحرس الثوري الإيراني أو حزب الله اللبناني سيكونون هدفاً لقوات التحالف التي تقودها السعودية.

ومن هنا يعود إهتمام المملكة العربية السعودية باليمن إلى عدة أسباب، أهمها[xxxii].

- الحدود البرية التي تربط السعودية باليمن وهي أكثر من ثلاث منافذ.
- يُعتبر اليمن العمق الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية.
- أهمية المنافذ المائية في اليمن وخاصتاً باب المندب في التجارة العالمية للنفط .
- كذالك الروابط الاجتماعية والتجارية التي تربط بين البلدين.

وعلى إية حال فإنه يتضح بأن الصراع في اليمن بين السعودية وإيران سوف يبقى قائماً حتى إنهاء حكم الحوثيين وتأثيره على نفوذ السعودية في اليمن. لا سيما وأن السعودية تتهم إيران بتمويل وتسليح ودعم التمرد الحوثي في اليمن، كما أتخذ صراع الحكومة اليمنية مع الحوثيين بعداً جديداً مع التدخل العسكري السعودي المباشر في اليمن[xxxiii]. وهنا يمكن الإشارة إلى أن هناك حدود مشتركة تربط اليمن مع السعودية بطول ٧٠٠ ميل تتخللها ثغرات في أماكن عديدة يمكن إستخدامها من قبل الإرهابيين. كذلك، أن سهولة توفر الأسلحة في اليمن هو تعقيد آخر، فمعظم الأسلحة والمتفجرات غير القانونية والمهربة الى داخل السعودية تأتي من اليمن[xxxiv].

وختاماً لهذا المحور فإنه أي كان الأمر فإن الحروب الدائرة في كل من سوريا والعراق واليمن ما هي إلا شكل من أشكال التنافس والصراع بين المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران الإسلامية، وهو ما يستند على الإرث التاريخي والديني والثقافي. ومع إنتهاء الثورة بدأت جمهورية إيران بالتلويح لسياسة إظهار الهوية الطائفية لتبرير سياستها تجاه المنطقة. من هنا بدأت الاستجابة السعودية لهذا التطور لمواجهة الطموحات الإيرانية المتنامية، وبدأت المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى التكاتف السني في جميع أنحاء العالم الإسلامي من أجل مواجهة التهديدات الإيرانية بعد الثورة الإسلامية في إيران. وفي الواقع فإن المنافسة بين جمهورية إيران والمملكة العربية السعودية تعود إلى بدايات الثورة الإيرانية وتمتد إلى ما وراء التباينات الطائفية، أن هذا النوع من التنافس قد يكون موجود في العديد من دول العالم لسعي وراء الهيمنة والنفوذ. لذا أستخدم مفهوم الطائفية في بعض الأوقات لاتأجيج الصراع بين الجانبين، ومع ما يحدث في دول المنطقة من حروب قد تكون أشبه بالحروب الطائفية التي تقاد بالوكالة بين جمهورية إيران من جهة والدول العربية وعلى رأسها السعودية من جهة أخرى.

الخاتمة والنتائج:

لا شك أن مجمل الخلافات والتوترات ظهرت مع ظهور الثورة الاسلامية ومع بداية مرحلة الثورة الإيرانية حتى وفاة الإمام الخميني، من هنا بدأ الصراع الإيراني - السعودي الديني حول القيادة الإسلامية. وبالتالي كان لا بد من حدوث نوع من الصدام بين الجانبين على الصعيدين السياسي والديني. ولكن مع تراجع دور الثورة الإسلامية في ثمانينيات القرن المنصرم وظهور بعض المتغيرات الدولية والإقليمية، وعدم الإستطاعة في تحقيق أهداف الثورة الإسلامية وبروز قيادات إيرانية برغماتية، كل هذا لم يؤدي إلى بلورة فكرة لدى كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران الإسلامية بأن صراع على الشرعيات بينهما سوف يولّد نتيجة سلبية في أخر المطاف، سيؤدي إلى مزيد من عدم الإستقرار

في المنطقة. وهنا يمكن الإشارة إلى أنه وبالرغم من التطورات التاريخية السلبية التي شهدتها العلاقات السعودية - الإيرانية منذ نهاية تسعينات القرن الماضي وحتى بداية هذا القرن، لا سيما في موضوعين هامين وهما: الأول، موضوع التدخل الإيراني في كل من العراق وسوريا واليمن والبحرين باستغلالها لنفوذها في تلك الدول، والثانية، قضية سعي الجمهورية الإيرانية لإمتلاك السلاح النووي.

هذا يوضح مدى حالة التنافس والصراع التي أتخذتها كل من السعودية وإيران، وقد أتخذ هذا التنافس والصراع أنواعاً مختلفة، كانت سلوكيات كل من الدولتين تظهر بمظهر التنافس الشديد بهدف السيطرة على المنطقة بشكل عام، ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص. وفي فترة الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، اشتدّ التنافس بينهما حتى بلغ ذروته حينما قدمت السعودية الدعم الكامل للعراق ابان حرب الخليج الاولى. وخذت طبيعة هذا التنافس بالتقلب في العقود الأخيرة، وقارب مستوى الحرب الباردة بين الدولتين في السنوات الاخيرة، وغالباً ما يتطور التنافس بينهما على الاختلافات الإيديولوجية والجيوسياسية، والتي يمكن أن تكون أكثر توتراً في وقت الاضطرابات الاقليمية. فالسعودية تحكمها ملكية إسلامية سنية بحتة ذات أجندة سياسية غالباً ما تركز على الاحتفاظ بالوضع القائم في منطقة الخليج، التي تعمل بشكل وثيق مع حكومات ملكية عربية خليجية أو عربية لتحقيق أهدافها.

لا شك أن مجمل التطورات التي حدثت في العالم العربي منذ ٢٠١١ خلقت نهج جديد من قبل الدول حتى التي لم يكن فيها ثورات الربيع العربي، هذا النهج يجعل من الدول أن ترفض التدخل السياسي في شؤونها الداخلية. والمهم فيما حصل من تطورات وأحداث في العالم العربي لم يكن ذو صلة بالثورة الإيرانية، وهو ما يعني أن التجربة الإيرانية تراجعت في وجودها. في المقابل، ان الموقف الذي أتخذته السعودية تجاه البحرين كان صفعة قوية إلى إيران. فالدول الخليجية تجمع على أن إيران هي الوحيد المستفيد من تطورات الأحداث في مملكة البحرين. من أهم المصالح الإيرانية في المنطقة العربية كما يلي:

أ- ترسيخ وجودها في الخليج وفرض سيطرتها عليه بهدف لعب دور رئيسي في أي اجراءات أمنية مستقبلية في المنطقة
ب- مزاحمة النفوذ الغربي في المنطقة وخصوصاً النفوذ الامريكي .
ت- محاولة تقديم نفسها كقوة أقليمية وقوة حماية للدول المجاورة.

وختاماً لهذا البحث يمكننا القول إذ ما أستمرت الصراعات والبحث عن النفوذ لكلا الجانبين في بلدان الشرق الأوسط على مدى العقود السابقة حتى يومنا هذا، لا شك أن العقد الأخير شهد تمدداً كبيراً لإيران مقابل إنحسار النفوذ السعودي في كل من سوريا ولبنان والعراق، ويرتبط بما سبق، ففي الوقت الذي كانت فيه السعودية تحارب تنظيم القاعدة، كانت إيران توسع مناطق نفوذها وتدعم الإقليات الموالية لها في محيط السعودية وعلى حدودها الشمالية والشرقية والجنوبية.

التوصيات:

١- العمل المتواصل من خلال ربط متطلبات الإستقرار الداخلي للدول بتحقيق التنمية، عن طريق منع الصراعات واللجوء لحلها بالطرق السلمية.
٢- الاتصال بالمنظمات الدولية والأقليمية لتوضيح ما يفيد من خلال تقديم وثائق بأن جمهورية إيران ذات صلة مباشرة بما يحصل من عدم استقرار في الدول العربية.
٣- يجب وضع حد للسياسة تصعيد التوترات بين الطرفين، التي قد تلحق أضراراً بليغة بالمنطقة برمتها، وعدم تحول التنافس والصراع الجاري بين الطرفين إلى حرب عسكرية مباشرة.
٤- لا بد من إيجاد تسوية جديدة يتقاسمها الجانبين في إدارة العمليات السياسية في المنطقة.
٥- يجب على الجانبين السعودي والايراني ادراك مخاطر التنافس والصراع والعودة الى التعاون في كثير من الملفات في المنطقة بما فيها فائدة لدولهم ودول المنطقة وشعوبها.
٦- المقاطعة الإقتصادية والسياسية لإيران، ما لم تتوقف بشكل كامل عن دعم وتحريض الجماعات التابعة لها في المنطقة العربية.

المراجع: -

١- بهجت قرني، السياسة الخارجية السعودية والدفاع عن العقيدة فى عالم متغير ، الاهرام الاستراتيجي، ١٩٨٢.

٢- رضا حداد، عبدالرزاق عيسى، الأمن في الخليج العربي، دار الكتب والدراسات العربية، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٥، ص ٥٩-٦٠.

٣- سامح نجيب، المشهد الايراني من الثورة (١٩٧٩- ٢٠٠٩) مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، مصر ، ٢٠٠٩.

٤- محمدي منوجهر، السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية، منشورات جامعة طهران، إيران، ٢٠١٠.

٥- خالد بن نايف الهباس، الدور الايراني في المنطقة العربية، نشر بتاريخ ١٦ ابريل ٢٠١٣ موقع الحياة الالكتروني: http://alhayat.com/OpinionsDetails/503574

٦- عادل مسعود، الاتجاهات الرئيسية للإنفاق العسكري في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٥٤)، أكتوبر ٢٠٠٣.

٧- اندرو تيريل، أوراق إستراتيجية: التنافس السعودي ـ الإيراني ومستقبل أمن الشرق الأوسط، الكلية الحربية للجيش الأميركي - Strategic Studies Institute SSI)، كانون الأول، ٢٠١٢.

٨- نورهان الشيخ، التعاون الاستراتيجي الروسي- الايراني الابعاد والتداعيات، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٠، المجلد ٤٩، ٢٠١٠.

٩- عبد العزيز المنصور، أمن الخليج العربي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق: دراسة في صراع الرؤى والمشروعات، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (٢٥)، العدد الأول ، ٢٠٠٩.

١٠- سامح رشد، السياسة الخارجية الإيرانية في عهد نجاد: حدود التغيير، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، عدد١٨٧٢ ، ٢٠١٠.

١١- ادريس محمد السعيد ، الدور الإيراني الإقليمي في الشرق الأوسط: مشروع تعاون أو هيمنة؟ موقع مجلة الرأي الآخر، العدد الرابع، ملف إيران والعرب ، ٢٠٠٥.

12- Ariel Jahner, Saudi Arabia and Iran: The Struggle for Power and Influnce in the Gulf, International Affairs Review • Vol XX, N 3 • Spring 2012., [xii]

١٣-نيفين مسعد، العلاقات العربية-الإيرانية منذ احتلال العراق، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد (١٩) العدد ٧٤، ٢٠٠٨.

14- Colombo, Siliva, Study the Gulf Cooperation Council(GCC) and Arab spring. Institutor Affair International. IAI WORKING PAPERS 1209 . 9 march 2012 .

١٥-عبد العزيز المنصور، مرجع سابق، ٢٠٠٩ .

١٦-نيفين مسعد، مرجع سابق ، ٢٠٠٨.

١٧-اللباد، إيران والقضية الفلسطينية: مشاعر التضامن وحسابات المصالح، دراسات ، مجلة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٣.

١٨-محمد جلال نعمان، العلاقات البحرينية - الإيرانية بين السياسة والبحث العلمي ، صحيفة الوطن ، العدد ٢٨٨٧ - نشر بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠١٥.

19- Alam, S., The changing perception of Iran towards the Gulf States. Strategic Analysis, 24(11), 2001, 2085-2096. Doi :10. 1080/ 097001 60108455340.[xix]

٢٠-محمد جلال نعمان، مرجع سابق، ٢٠١٥.

٢١-خالد بن نايف الهباس ، السياسة الخارجية السعودية في زمن الثورات العربية، مجلة السياسة الدولية، ٢٠١٢.

٢٢-العرب، النظام الإيراني يخسر في اليمن وسوريا، فيصعد في البحرين، نشر في ٢٠١٥/٧/٢٩ ، ع ٩٩٩١، حدث في ٢٠/٢/ ٢٠١٧، ع ١٠٥٤٩، ص٧، alarab.co.uk/?id=58166.

23- Tali R. Grumet. New Middle East Cold War: Saudi Arabia and Iran"s Rivalry University of Denver, 2015. 26.

٢٤-باسم الجسر، العلاقات السعودية - السورية: تاريخ قديم، الشرق الأوسط، ، العدد ١٣٠٥٣، ٣ مارس ٢٠١٣.

٢٥-رضا حداد، مرجع سابق،٢٠١٥ ، ص٩٦.

٢٦-بدر الخريف، مواقف السعودية مع سوريا.. من معركة «ميسلون» إلى حماية المواطنين من مذبحة النظام، الشرق الأوسط، العدد ١٢١٧٦ ، ٣٠ مارس ٢٠١٢م.
٢٧-محمد بن هويدن ، دلالات الموقف السعودي من سوريا، البيان، ٢٠ مايو ٢٠١٢م.
٢٨-احمد غلاب، المملكة وأحداث «سورية».. موقف ثابت وجهد متواصل لإيقاف آلة (القتل)، دار الحياة، السبت، ١١ فبراير ٢٠١٢.
٢٩-رضا حداد، مرجع سابق، ٢٠١٥ ، ص ٩٨
٣٠- عبدالله النفيسي، العلاقة بين امريكا والحوثيين... ما خفي اعظم، نشر بتاريخ ١٨-١-٢٠١٥، موقع المسلم، نشر على الموقع الالكتروني، www.almoslim.net-node-219885
٣١-اندروتيريل، مرجع سابق، ٢٠١٥.
٣٢- عبدالله سعدالتمامي، البعد الامني للعلاقات السعودية اليمنية للفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٠، ص٢٠-٣٥.
٣٣- عبدالله سعد التمامي، مرجع سابق ،٢٠١٠.
٣٤-اندروتيريل، مرجع سابق ،٢٠١٥.